المبحث الأول

مفهوم نظرية المعرفة

هناك خلاف كبير بين الباحثين والمفكرين حول العلاقة بين نظرية المعرفة والإبستمولوجيا؛ ففي الوقت الذي يذهب فيه فريق من الدراسيين إلى القول إن نظرية المعرفة هي الإبستمولوجيا، وأن لا فرق بينهما وأن موضوعهما واحد، نجد هناك من يفرق بينهما، ويرى أنّ لا وجه للشبه بينهما، فكل منهما مختلف عن الآخر. وللوقوف على حقيقة الأمر علينا أن نحدد المقصود بكل منهما، وهنا ما سنحاول أن نقوم بها فيما يأتي:

المطلب الأول

المدلول اللغوي.

تنقسم كلمة إبستمولوجيا Epistemology إلى قسمين هما: ابتسمي *episteme* بمعني دراسة أو بحث، ولوجيا logy بمعني علم، ومنه فهي علم العلم أو دراسة في العلم.

ويضيف معجم كمبرديج الفلسفي قائلا:" من حيث الاشتقاق اللغوى فهي كلمة يونانية ، مركبة من كلمتين هما : Episteme . knowledge تعني المعرفة وكلمة logos' explanation. تعني شرح"[1] .

المطلب الثاني

المدلول الاصطلاحي

يعتقد محمد حمدي زقزوق أن المؤسس الفعلي لنظرية المعرفة لم يكن إلا الفيلسوف التجريبي الإنكليزي الشهير جون لوك (1631م- 1701م)، حيث جعل من البحث في المعرفة مستقلا عن البحث في العلم، وكان هذا في كتابه ذائع الصيت "مقالة في العقل البشري"، الصادر عام 1690م، حيث حدد فيه أصل نظرية المعرفة وماهيتها وحدودها، ودرجة اليقين فيها، على الرغم من أن مصطلح نظرية المعرفة لم يظهر إلا بعد ذلك بزمن طويل[1]. دون أن يعرف بالضبط من وضعه للمرّة الأولى.

أما من حيث معناها فإن المختصين يرون أنه يمكن النظر إليها من زاويتين، الزاوية الأولى من حيث مفهومها العام، حيث يرون أنها تهتم بكافة البحوث الفلسفية الهامة التي تتعلق بكيفية أو بأخرى بالمعرفة في العديد من الميادين كعلم النفس، وعلم الاجتماع، التاريخ وحتى علم وظائف الأعضاء.

أما الزاوية الثانية التي ينظر منها للمسألة فتتعلق بمعناها الآخر والأكثر دقة وخصوصية، وهو أنها العلم الذي يسعى للبحث في ماهية المعرفة ومبادئها وأصولها ومنابعها وشروطها ونطاقها وحدودها[2].

والحقيقة أن هذا الموضوع شائك وخطير يتطلب منا كثيرا من البحث والتقصي والصبر، ومهما كان الأمر فإن التساؤل حول المعرفة قديم ومتجدد، وفي هذا يقول المفكر العراقي محمد باقر الصدر في كتابه فلسفتنا: "تدور حول المعرفة الإنسانية مناقشات فلسفية حادة تحتل مركزا رئيسيا في الفلسفة وخاصة الفلسفة الحديثة، فهي

---

[1] - محمد حمدي زقزوق : تمهيد للفلسفة، دار المعارف، الطبعة الخامسة، 1994، ص176.

[2] – موسى معيرش، أحمد بخوش: المعرفة والبحث العلمي، مدخل إلى المنهجية العامة، دار الكتاب الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى ، سنة 2009م ، ص9.

نقطة الانطلاق الفلسفي لإقامة فلسفة متماسكة عن الكون والعالم، فما لم تحدد مصادر الفكر البشري ومقاييسه وقيمه لا يمكن القيام بأية دراسة مهما كان لونها"[1].

إلا أن الجميع يتفق على الأسئلة التي تطرحها نظرية المعرفة ويمكن أن نلخصها في ثلاث إشكاليات فرعية على النحو الآتي:

- هل هناك معرفة؟ وإذا كانت ممكنة فهل لهام حدود أم لا؟
- كيف تتم المعرفة؟ وهل لها طريق واحد أم طرق مختلفة؟ وما هو هذا الطريق أو الطرق إن وجدت؟
- ماهي طبيعة المعرفة؟ هل يمكن تحديد هذه الطبيعة؟ وإذا كان الأمر كذلك هل هي ذات طبيعة مادية أم ذات طبيعة مثالية؟

وتضيف موسوعة روثلج الفلسفية أن نظرية المعرفة عادة ما تحاول الإجابة عن الأسئلة التالية:

- ماهي المعرفة، وماهو التحديد الدقيق لمصطلح المعرفة؟
- ماحدود المعرفة ؟ وما معوقاتها؟
- ماهي مصادر المعرفة؟ وما طرق إكتسابها؟
- هل هناك معرفة حقيقية؟
- ماهي مبررات الإيمان؟ وشروط تبريره؟.

ولتوضيح المسألة أكثر نحاول في المباحث المتبقية أن نعرض لهذه الإشكاليات التي نطرحها هنا بنوع من التفصيل تسمح لنا بالإحاطة بجوانب نظرية المعرفة المختلفة.

---

[1] – محمد باقر الصدر: فلسفتنا، دار التعارف للمطبوعات والنشر بيروت لبنان، الطبعة العاشرة، سنة1400م، 1980م، ص 57.